ترجمة حياة عبد الله مخلص بقلمه

تقديم:كامل العسلي

الجامعــة الأردنيــة

Abstract

Abdullah Mukhlis is a prominent learned figure from Palestine. He has contributed many articles and books on the history of Palestine, and its archaeology in the first half of the twentieth century.

Unfortunately this outstanding figure is little known in these days. It was my privilege to obtain, through his daughters who presently reside in Damascus, the following document which gives authentic information about the life of the author, being written by himself-- his autobiography.

عبد الله مخلص المتوفى سنة ١٩٤٧ في القدس علم كبير من أعلام الفكر والتاريخ والآثار في فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين. كتب في تاريخ فلسطين وآثارها وتراثها مواد طريفة نادرة، وكتب في المخطوطات والكتب العربية القديمة أبحاثاً تدل على عالم محقق متمكن في هذا الباب، وكتب في غير هذين الميدانين مقالات وأبحاث تنم عن إطلاع غزير وصبر ودأب على البحث والدراسة. ومن المؤسف أن قلة من الناس من يعرفون شيئاً عن تراث هذا العالم الفذ، فتراثه قسم منه متناثر في المجلات القديمة التي مضى عليها عشرات السنين وقسم منه في كتب ورسائل طبعت في العشرينات والثلاثينات، وقسم منه ضاع مع مكتبته الثمينة، بعد أن نسف الاسرائيليون الدير الذي كانت فيه سنة ١٩٤٨.

واذا كان إهمال النوابغ غير جائز في كل الأوقات وكل البلدان فكيف يجوز إذا كان الأمر يتعلق بفلسطين خاصة، التي تبدد أكثر تراثها. وكيف يمكن أن تسترد فلسطين وأن تنهض دون عمل لا هوادة فيه في المجال الثقافي أيضاً، المجال الذي لا يعيره أكثر العاملين في السياسة الاهتمام الكافي الذي هو به جدير.

إن الأمم المتحضرة تضع تراثها الفكري والعلمي في حبات العيون: تجمعه وتنسقه وتدققه وتصدر منه طبعات أنيقة تتداول بمئات الألوف والملايين من النسخ، تماماً كما تصون تاريخها وتراثها وآثارها ومخلفات عظمائها، ولذلك فهي تتجدد، وتنجب العلماء والعبقريين.

من هذا المنطلق وددت أن أقوم بمساهمة ما في دراسة حياة عبد الله مخلص، وآثاره، وفي جمع ما يستطاع من تراثه الخصب على أن يصدر ذلك كله في كتاب واحد أو أكثر.

و يسرني أن أخص هذا العدد من مجلة «دراسات» بوثيقة هامة ستصدر في الكتاب هي ترجمة حياة عبد الله مخلص بقلمه (١). وتنتهي هذه الوثيقة سنة ١٩٤٤، وهي بذلك تغطي سني حياته من مولده في سنة ١٨٧٨ إلى ما قبل وفاته بثلاث سنوات.

وآمل أن أتمكن في المستقبل القريب من التعريف بتراث مخلص وآثاره بصورة مفصلة.

مولدي

ولدت يوم الجمعة ثاني المحرم من سنة ١٢٩٦ هجرية الموافق للسابع والعشرين من كانون الأول سنة ١٨٧٨ ميلادية في مدينة عين تاب من أعمال حلب وهي موطن آبائي وأجدادي.

عين تاب عربية: وهي اليوم في عداد بلاد الدولة التركية مع أنها تعد في بلاد العرب بدليل ما قاله عنها ياقوت (٢) أنها قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك ودلوك رستاقها. وهي الآن من أعمال حلب بدليل ما رواه شمس الدين سامي أن أهل المقاطعة يتكلمون العربية وأن التركية مقصورة على مدينة عين تاب مركز المقاطعة.

وقد كان لغلبة اللغة التركية على أهل عين تاب أثرها فانها جعلتهم يستمسكون بالأتراك و ينضوون تحت لوائهم في الثورات التي أعقبت هدنة الحرب العظمى مما يدلنا على ما للغة من التأثير في حياة الأفراد والجماعات. وقد منحتها الدولة التركية بعد ذلك لقب الغازي فأصبحت تدعى غازي عين تاب نسبة الى مصطفى كمال.

اسرتي

انتسب إلى بيت علم يعرف «بشبجي خوجه زاده» وفي تقاليد الأسرة الموروثة أن

---

١. زودتني بهذه الوثيقة الآنسه مقبولة مخلص إبنة (الفقيد) التي تسكن حالياً في دمشق، فلها مني كل العرفان والشكر.

٢. معجم البلدان طبع لابيك، جزء ٣، ص ٧٥٩، وطبع مصر، جزء ٦، ص ٢٥٣.

جدنا الأعلى قد جاء عين تاب من ثغر الحديدة في البلاد اليمانية وهو ينتمي الى احدى القبائل الضاربة في العربية السعيدة. ووجه تسمية الأسرة أو بالحرى الجد الذي تلقب بشبجي خوجه ـ ولقب خوجه لا يعطى الا للعلماء والفقهاء ـ انه كان يتعاطى معالجة العيون فغلب عليه اسم «شبجي» ومعناه «الكحال»، وقد كانت كلمة الكحال الرسمية تعادل كلمة «طبيب» الرسمية. وأصبح من العلماء المعروفين فقيل له «شبجي خوجه». وظل رجال الأسرة يتنقلون في الخدمات الدينية وكان آخرهم عم والدي الشيخ ابراهيم بن علي و يعرف «بمسكي رده» شيخ الزاو ية المولو ية في عاصمة الملك العثماني. وكان يقيم اعتيادياً في إسكدار ومات ودفن فيها في أوائل القرن الحالي، ولم انثبت من تاريخ وفاته على التحقيق لأنه لم يعقب ولداً ذكراً. وقد جاء الخبر لوالدي بعد وفاته بمدة طو يلة.

ووالدي هو السيد محمد بن عبد الله بن علي من ضباط الجيش العثماني. وقد توفي في جينين من أعمال نابلس في اليوم العاشر من شهر صفر سنة ١٣٤٢هـ ٢٢ أيلول سنة ١٩٢٣م.

ووالدتي المتوفاة في ٢٥ جمادى الأولى ١٣٥٠هـ و ٧ تشرين الأول ١٩٣١م في مدينة عكا هي من اسرة حصيرجي التي ينتسب اليها الشاعر حافظ محمد آغا من أعيان عين تاب ووحيد دهره في آداب اللغات الثلاث العربية والفارسية والتركية وترجم له شمس الدين سامي (٣) في قاموس الأعلام.

دراستي

أذكر أنني بدأت الدراسة في المكتب الرشدي في مدينة حيفا وقد كان والدي نقلنا اليها من عين تاب بمقتضى عمله العسكري، وكانت هذه المدرسة جزءاً من الجامع الصغير في حيفا ثم أعيدت بعد ذلك إلى المسجد و بنيت عليها بعض المخازن.

كنت آتي المدرسة قبل رفاقي من الطلبة وكثيراً ما أجدها مغلقة الأبواب لم تفتح بعد وكنت أقرأ القرآن من الصباح الى الظهر على بواب المدرسة وكان يدعى «شهر زمان» وأظنه كان أفغانياً. ثم أتلقى الدروس بعد الظهر على معلم المدرسة وكان من المتعممين. ومع هذا فقد انتهيت من هذه المدرسة بعد انقضاء ثلاثة أعوام على دخولي اليها وحصلت على شهادتها بتاريخ ٣ ذي الحجة سنة ١٣٠٧هـ الموافق ٢١ تموز ١٨٩٠م. وأنا في الثانية عشرة من عمري.

وكانت أساليب التعليم ساذجة إلى حد الغاية وكانوا على حداثة سننا يضطروننا الى استظهار أراجيز وقصائد باللغات الثلاث لتقو ية الملكة ورسوخ المعنى في أذهاننا. ولا أزال

---

٣. قاموس الاعلام، جـ٣، ص ١٩١٤.

أذكر من هذه الأبيات بعض سطورها مثل :

سيسب خوردم، بيدم المالي، أكلت التفاح،

وكانت الرغبة في العلم قليلة في ذلك الوقت وكان الآباء والأمهات يستصعبون فراق أبنائهم فلم يبعث بي والداي الى مدرسة أعلى في حين أن عم والدي الذي لم يكن له ولد ذكر كان طلب اليهما أن يرسلاني اليه ليدخلني المدارس العالية في عاصمة الملك حيث كان يقيم.

وانتقل والدي بحسب وظيفته إلى جينين من أعمال نابلس ولذلك فقد اقتصرت على التردد على احدى دوائر الحكومة للتمرن على إجادة الخط وتعلم أساليب الكتابة. وكانت في نفسي رغبة غريبة في هذا الشأن فلا أذكر أنني وجدت في عرض طريقي ورقة جيدة الخط أو متينة التركيب الا وجئت بها أنسج على منوالها ولا سمعت جماعة يتكلمون في العلم والآداب على قلة عددهم في تلك الأيام الا وأصغيت اليهم تمام الاصغاء وحاولت تفهم ما يدور بينهم.

وكانت اللغة الرسمية في دوائر الحكومة هي التركية فكان من واجبي أن أحاول اتقان هذه اللغة. وأتاح الله لقضاء جينين حاكماً عالماً «قائم مقام» هو محمد رؤوف بك الذي نال رتبة باشا مؤخراً ابن ولي الدين باشا بن مصطفى نائلي باشا الكريدي من الأسر المشهورة(٤). وكان من الكتاب المجيدين والاداربين المحنكين، إذ ظل مدة طويلة يكتب للمغفور له السلطان مراد الثاني وهو في ولاية العهد ثم بعد أن ولي السلطنة تلك الفترة القصيرة. فكنت أقرأ ما يكتب من التقارير واللوائح باعجاب و ينطبع في ذاكرتي منها ما له الأثر وما فيه الخطر. وأذكر أنه أفضى الينا مرة ونحن في مكتبه أن السلطان مراد كان قد أصابه بعض الذهول من جراء ما جرى على عمه المغفور له السلطان عبد العزيز وأنه كان يضطرب عليه القول وتخونه الذاكرة فيغلط و يخلط أحياناً، مع أنه كان وافر العقل سديد الرأي في أيام امارته، فكان صاحبنا يرقب حركاته بعد ارتقائه سدة الملك و يأسف لما يأتيه من المتناقضات.

ومما أذكر له أن الباب العالي «مقر الوزارة العثمانية» كان بعث الى العمالات «الولايات» بلائحة اصلاحية وضعها للولايات التي يكثر فيها العنصر الأرمني الذي كان يتحفز للمطالبة بحقوقه فكتب لائحة مفصلة جامعة لضروب الاصلاح وقرأها علينا في داره وقال: هكذا الاصلاح إذا كانوا يريدونه ولكنهم لا يريدون. ثم بعد أن قرأها ألهبها على الشمعة التي كانت أمامه. فكان الرجل يتلهب غيرة على بلاده ولكنه كان من المغضوب عليهم فقضى حياته في الوظائف الصغيرة التي لا تتسع لظهور مواهبه الكبيرة، وأنا مدين

٤. مصطفى نائلي باشا ترجم له في قاموس الاعلام، جـ٦، ص ٤٣١٨.

لهذا الرجل ما أخذته عنه من أساليب الكتابة وأصول الادارة.

ولما كنت موظفاً في مدينة نابلس، كما سيأتي بيانه في باب حياتي العملية، كنت أتردد على كبار علمائها وانتفع بدروسهم ومجالسهم العلمية وأذكر من هؤلاء العلماء: المرحوم الشيخ حسن هاشم مفتيها والمرحوم الشيخ داوود هاشم عضو محكمة الاستئناف الشرعية بالقدس والمرحوم الشيخ رشيد هاشم من كبار المدرسين والشيخ عبد الله صوفان الحنبلي الذي جاور الروضة النبوية المطهرة وقضى نحبه في ذلك الجوار الشريف والشيخ موسى صوفان وغيرهم من العلماء الكبار. وكانت نابلس بلد العلم في فلسطين لوفرة علمائها وكثرة مدارسها العلمية وشبانها الذين كانوا يقصدون المدارس العليا في عاصمة المملكة العثمانية بالعشرات والمئات.

حياتي العمليـة

أول عمل زاولته من أعمال الحياة هو كتابة بلدية قضاء جينين، وهي مركز قائمقامية، فقد عينت لها بتاريخ ٢٧ رمضان سنة ١٣١٠هـ ١٤ نيسان سنة ١٨٩٣م بمشاهرة صغيرة قدرها سبعون قرشاً. وبلديات الأقضية في تلك الأيام ضئيلة الموارد قليلة الأعمال. وفي أول العام المالي التالي زيدت مشاهرتي الى (٩٥ قرشاً) وفي أول العام الثالث الى (١٥٠ قرشاً) باضافة أمانة صندوق البلدية إلى الكتابة. وفي أول العام الثالث إلى (١٥٠ قرشاً) باضافة أمانة صندوق البلدية إلى الكتابة. وفي غضون تلك المدة كنت أداوم على قلم التحريرات وأساعد في كتابة الرسائل التي تصدر عن مكتب الحاكم ونبت عن كاتب التحريرات نيفاً وثلاثة أشهر.

ثم دخلت امتحان المسابقة في فرع المصرف الزراعي بلواء نابلس — وهي مركز متصرفية — وقد كانت هذه المؤسسة المالية أضبط وأنظم دائرة بين دوائر الحكومة — وفزت على الممتحنين فعينت كاتباً في الفرع المذكور بمشاهرة قدرها (٢٠٠ قرش). وكنت إذ ذاك في سن لا تؤهلني للانخراط في سلك الوظائف الرسمية لوجود شرط قانوني يقضي بأن تكون سن الموظف قد بلغت العشرين عاماً حساباً هجرياً، فساعدني حاكم القضاء ومجلس إدارته الذي كان يتألف من أربعة أعضاء موظفين هم القائم مقام أي الحاكم ونائب الشرع الشريف أو القاضي الشرعي ومدير المال وكاتب التحريرات وأربعة أعضاء منتخبين من قبل الأهالي على اختلاف أجناسهم. واذا كان في المدينة رجال دينيون كالمفتي والمطران والحاخام يلحقون بهم. وكتبوا لي محضراً موقعاً عليه منهم أو ما يسمونه «مضبطة» يقولون فيها إن سني المسجلة في قيود الحكومة غير صحيحة وإن مولدي كان سنة ١٢٩٣هـ — ١٨٧٦م بدليل اعتراف والدي بغلط التاريخ المسجل والشكل الظاهري لي. وعلى هذا الوجه جاز لي الدخول في خدمة الحكومة وبدأت عملي في المصرف الزراعي بنابلس في

١٤ صفر سنة ١٣١٤هـ و ٢٢ تموز ١٨٩٦م وأضيفت لي بعد مدة أمانة الصندوق في المصرف المذكور وذلك بتاريخ ٢٣ ربيع الأول ١٣١٦هـ و ١٤ أيلول ١٨٩٨م. وفي ٢ ذي القعدة سنة ١٣١٦هـ و ٤ آذار ١٨٩٩م زيد في مشاهرتي (٥٠ قرشاً) فأصبحت (٢٥٠ قرشاً) وفي ٦ صفر سنة ١٣١٨هـ و ٤ حزيران ١٩٠٠م رقيت الى كتابة محاسبة الفرع المذكور في قضاء جنين. وكتابة المحاسبة معناها مأمور الفرع ومديره بمشاهرة قدرها (٥٠٠) قرشاً. وقمت وأنا فيها بالمحاماة عن حقوق الخزانة المالية مدة سنة ونيف باسم محامي الخزينة الجليلة من ٢٢ رمضان ١٣٢٠هـ و ٢٢ كانون الأول ١٩٠٢م إلى ٢٦ ذي الحجة ١٣٢١هـ و ١٣ آذار ١٩٠٤.

ثم قمت وأنا فيها بالنيابة عن مأمور فرع المصرف الزراعي بنابلس مدة شهرين من ١١ ربيع الثاني ١٣٢٣هـ و ١٤ حزيران ١٩٠٥م الى ١٣ جمادى الآخرة ١٣٢٣ و ١٣ آب ١٩٠٥م.

ونقلت من فرع جينين إلى نفس العمل في فرع قضاء صور من أعمال بيروت وجئتها في ٢٧ صفر سنة ١٣٢٤هـ و ٢١ نيسان سنة ١٩٠٦م بذات المشاهرة. وعهد الي وأنا فيها النيابة عن مأمور فرع حيفا من أعمال عكا بضعة أيام وأخرى مدة طويلة ابتدأت في ٢٤ محرم سنة ١٣٢٥هـ وآذار سنة ١٩٠٧م وانتهت في ٧ رجب سنة ١١٢٥هـ و ١٥ آب سنة ١٩٠٧م.

وكان هذا الفرع من الخلل والفوضى بمكان لأن أحد مأموريه السابقين قد اختلس الأموال الكثيرة وارتكب عدة تزويرات فكان من الصعب إصلاح ما أفسدته الأيدي الأثيمة. وكان العمل يتطلب الجهد الجهيد والعناء الزائد.

واعتقدت وأنا في هذه النيابة أن إدارة المصرف الزراعي العامة ستقلق مضجعي وتسلبني راحتي في هذه النيابات المتعبة فرأيت أن أستبدل سلكي بآخر يضمن لي بعض الراحة وزيادة المشاهرة. وكانت في حيفا ادارة استثمار سكة حديد الحجاز. وكانت إدارة السكة والانشاء ذات فرعين فرع للبناء وآخر للاستثمار يرئس كلا منهما مشير (أي مارشال) من قواد الجيش العثماني، وكان رئيس الفرع الانشائي المارشال كاظم باشا ورئيس الفرع الاستثماري علي رضا باشا الذي ولي على أثر إعلان الدستور العثماني وزارة الحربية. فاستقلت من مأمورية فرع المصرف الزراعي في صور في ١٦ رجب ١٣٢٥ و ٢٤ آب ١٩٠٧، وعينت في اليوم التالي في إدارة الاستثمار المذكورة مأموراً لحسابات الأنابير والمستودعات بمشاهرة قدرها (١٠٠٠ قرش). وبتاريخ ٨ رمضان سنة ١٣٢٧هـ و ٢٢ أيلول سنة ١٩٠٩م عهدت الي النيابة عن رئيس هذا الفرع الكبير لمدة ثلاثة أشهر باضافة ٢٥٠ قرشاً على مشاهرتي وذلك برسم التجربة. فلما انتهى آخر يوم من الأجل المضروب صدر أمر المدير العام باعتباري رئيساً أصيلا فيه بمشاهرة قدرها (١٥٠٠ قرش)، وكان ذلك في ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٢٧هـ و ٢٢ كانون الأول سنة ١٩٠٩م.

وفي ٩ رمضان سنة ١٣٢٨هـ و١٤ أيلول سنة ١٩١٠م انتدبت إلى رياسة الفرع المذكور باضافة أنابير ومستودعات البناء اليه فأصبحت رئيساً لأنابير ومستودعات البناء والاستثمار في السكة الحجازية بمشاهرة قدرها (٢٠٠٠ قرش).

وكان عملي الانشائي والاستثماري يقع ما بين أودية الحجاز المقدسة وفلسطين حيث كانت بعض مواد الانشاء ومد الخطوط في ميناء جدة والقسم الآخر في حيفا ورأيت أن إدارة السكة الحجازية ينقصها بعض التشكيلات النافعة كصناديق التقاعد لمن يقضون زهرة شبابهم في العمل أو يقعد بهم المرض عنها، واعداد مدارس لأ بناء اولئك العمال الضاربين في عرض البادية. فعملت مع بعض من رؤساء الأقلام على تأليف جمعية باسم «جمعية تعاون موظفي سكة الحديد» وأنشأنا لها قانوناً صدقت عليه الحكومة. ولكن الادارة العامة أوجست خيفة من هذا العمل و بعثت بثلاثة من كبار موظفيها لدرس الحالة عن كثب. وهؤلاء تأثروا بأقوال رؤساء الدوائر الذين كانوا يخافون من ضياع نفوذهم فأوهموا الباب العالي، وهو مصدر السلطات، أن في الأمر ما فيه. وقرر مجلس شورى الدولة الموكول إليه أمر سن القوانين والأنظمة الغاء الجمعية باعتبار أنها نوع من السنديكات فلم تعش هذه الجمعية أكثر من ستة أشهر.

وجرت بيني و بين المدير العام الألماني الجنس والتابعية المدعو (ديكمن) مشادة في بعض فروع العمل لأنني كنت أحرص على مصلحة بلادي وكرامة أمتي، والأجانب على إطلاقهم لا يرون لنا كرامة ولا يهتمون لمصلحتنا بمقدار ما يهتمون لجلب المنافع لبلادهم. فكان الرجل يحاول أن يأتي بلوازم السكة الحديدية من المعامل والمصانع الألمانية وكنت أحاول أن يؤتى بكل شيء من معدنه فالحديد جيده ورخيصه في البلجيك والفولاذ في انجلتره والزيوت المعدنية في روسيا وأمريكا ورومانيا والفحم الحجري في انجلترا أيضاً. فكان الرجل يعمل على خدمة مصلحة بلاده، وأنا كنت أعمل مثلما يعمل لا سيما وأن هذه السكة كانت تصل المسلمين بنبيهم الكريم وتدنيهم من كعبتهم المعظمة وتبنى بما يجمع لها من المحسنين في مشارق الأرض ومغاربها فكنت أقف حائلا دون الاسراف والتبذير وألح في مراعاة قواعد الاقتصاد والرجوع الى طرق المناقصة والمزايدة فيما يشتري و يباع من حاجيات السكة، فلم يرق له ذلك وصار يلجأ إلى أساليب مؤذية للنفس فيما يورده و يصدره وكنت أقابله بمثلها فلم تتفق رغبته في إذلالي ورغبتي في إعزاز نفسي حتى اتسعت شقة الخلاف بيننا وانتهى الأمر باقالتي من عملي تحت ستار الاستغناء عن الوظيفة أو الغائها في ختام السنة المالية ١٣٣٠ الموافق ١٦ ربيع الآخر ١٣٣٢هـ و ١٣ آذار سنة ١٩١٤م. ولم يجرؤ المدير على هذا العمل إلا بحمل الادارة العامة في القسطنطينية على إصدار برقية بهذا الشأن. وقد علمت بعد ذلك أنه كان للسفارة الألمانية في العاصمة بعض المداخلة والتأثير في هذه المعاملة التي ألبست ثو باً سياسياً كما سيأتي بيانه في حياتي السياسية. وقد خصصت لي الحكومة مشاهرة قدرها (٥٠٠) قرش بمعدل ربع مشاهرتي باسم معاش معزولية لأن

الموظف الذي ينعزل بدون سبب موجب بل لحكمة إدارية يخصص له مثل هذه المشاهرة إلى أن يعين في عمل مثل عمله.

فلما انطلقت من سجن العبودية، وقد كنت متعباً من إدارة عملي الكبير في السكة، لم يعد يخطر ببالي الرجوع إلى رق الاستخدام فاشتغلت بالتجارة. وكانت الحرب العامة قد طار شرارها واندلع لهيبها فأصبت بعض الربح بالرغم من أن دائرة العمل كانت محدودة، وبقيت إلى ما بعد احتلال جيوش الحلفاء للبلاد العربية التي انفصلت عن جسم الدولة التركية وأصيبت بنكبة الاستعمار تحت ستار الوصاية أو الانتداب إلى أن دعيت بتاريخ ١٢ المحرم سنة ١٣٤١ و٣ أيلول سنة ١٩٢٢م لتولي المحاسبة العامة للأوقاف في المجلس الاسلامي الأعلى الذي أسس حديثاً في بيت المقدس عاصمة البلاد الفلسطينية ولوضع الخطط اللازمة لتنظيم دفاتره وقيوده بمشاهرة قدرها (٣٠٠٠ قرش). ولم أقبل بهذا المنصب حباً بالشهرة أو طمعاً بالمشاهرة فقد بلغت منهما ما أشتهي ولكني قبلت به حباً بالمصلحة العامة في مؤسسة دينية وطنية في بلاد أنشب الاستعمار فيها مخالبه، ولكن هيئة المجلس المؤلفة من رئيس هو سماحة الحاج أمين الحسيني المقدسي وأربعة أعضاء هم الشيخ محمد مراد الحيفاوي والحاج سعيد الشوا الغزي وعبد الله شفيق الدجاني اليافي وعبد اللطيف صلاح النابلسي، لم يكونوا قد نشأوا نشأة إدارية ولا عرفوا مناهج العمل بنظام فلم أتفق وإياهم على تسيير دفة الأعمال،... وحاولت أن أضع المؤسسة تحت أنظمة وقوانين نافعة فلم أفلح.... فلم أكد أتم السنة الأولى حتى ألغى المجلس ذلك المنصب الذي أحدثه قبل سنة بزعم عدم الحاجة إليه وكأنه قد قلد بعمله هذا إدارة السكة الحجازية حين ألغت رئاسة الأنابير والمستودعات. وغاية هؤلاء مثل أولئك وهو التخلص من وقر ثقيل الوطأة عليهم، فخرجت من الأولى وأنا وضاح الجبين طاهر الذيل وتركت المجلس في ١٩ صفر سنة ١٣٤٢هـ و ٣٠ أيلول سنة ١٩٢٣م وعدت إلى مزاولة أعمالي التجارية.

وبقيت على حالتي في حيفا إلى أوائل سنة ١٩٣٨ حين كانت الثورة الأهلية مندلعة اللهيب والقتال والقتال دائرين فاستدعتني الحكومة المركزية بالقدس الى مقابلة لجنة الأوقاف لادارة شؤون المجلس الاسلامي الأعلى بموجب نظام مؤرخ في.... ومما جاء فيه «أن المجلس الاسلامي ولجنة الأوقاف العامة تتوقفان عن العمل ويقوم مقامهما لجنة الأوقاف وجعلت رئاسة اللجنة وعضويتها الأولى في موظفين بريطانيين كبيرين وعينت عالماً مسلماً في العضوية الثالثة وكلفتني بقبول مديرية الأوقاف العامة في فلسطين بالنظر لخدمتي السابقة في المجلس والاعتقاد بكفاءتي وأمانتي. ومع حرج الحالة وجدت أن تعهد أوقاف المسلمين والمحافظة عليها مما يدعو إليه الدين ويقتضيه الواجب فقبلت هذا المنصب الخطر وباشرت العمل في ٢٢ نيسان سنة ١٩٣٨م.

وبقيت في العمل إلى شهر أيار سنة ١٩٤٤م أحاول الاصلاح ما استطعت اليه سبيلا وأعمل على تطهير المسجد الأقصى من خدام لا هم لهم الا السلب والنهب واختلاق

الأكاذيب. وكان هذا لا يرضي المستعمرين وأذنابهم الذين يؤمنون على جميع ما يقوله رئيس اللجنة المسمى بالمستر (كركبرايد)، وهو المساعد الاداري للسكرتير العام، وكان يجيد العربية قراءة وكتابة لأنه ولد في مصر ونشأ فيها ثم كان مدة الحرب العظمى يشتغل في بلاد الشام وفلسطين والحجاز مع لورنس ملك الصحراء غير المتوج وقد تتلمذ عليه. فاستدعاني ذلك الرئيس أمام ثلاثة من أعضاء المجلس وهم: أمين عبد الهادي النابلسي والشيخ كمال اسماعيل الطولكرمي والشيخ يوسف طهبوب الخليلي وقال لي بعد مجاملات ومقدمات أن لجنة الأوقاف وأعضاء المجلس الاسلامي بما فيهم العضو الغائب الشيخ محي الدين عبد الشافي الغزي قد اتفقوا على دعوتكم إلى الاستقالة من مديرية الأوقاف العامة فأجبته بأن الحكومة هي التي استدعتني بواسطة حاكم لواء حيفا لقبول هذا المنصب فهل الحكومة هي التي ترغب في إقالتي فقال أن لجنة الأوقاف هي ذات الصلاحية ومع ذلك فاننا سنمنحك إجازة ثلاثة أشهر تقبض رواتبها مقدماً مع تقديم الاستقالة فقلت له انني أقوم بعملي منذ أكثر من ست سنوات وكان يحق لي حسب القانون أن آخذ اجازة شهرين في كل سنة ومع ذلك فلم ابارح عملي بالاجازة سوى اثني عشر يوماً في كل تلك المدة الطويلة. أما رواتب الثلاثة أشهر فأنا أربأ بنفسي أن أتقاضى رواتب بدون عمل من أموال الأوقاف الموقوفة على وجوه الخير والبر، أما الاستقالة فسأفكر بأمرها وأخبركم عن النتيجة..